

الشركة الفرنسية ذاتها، ان نقطة ضعف ذلك

الملجأ تكمن في فتحة التهوية. ليس في المدخل، انما في فتحة التهوية الغربية. ابتكر الخبراء خطة لتفجير الملجأ، او في اقل تقدير، حرق كل من في الداخل. كان بطل رواية "الواج"، ذلك الجندي الطيب، والمنك، قد دفعه حظ تعيس كي يبيت في الملجأ، وكان يمني نفسه بليلة هائلة لا يسمح فيها دوي انصارات. لم يدر ان هناك طائرتين مزودتين بصاروخين حديثين ومبتكرين، تتجهان الي بغداد، الي ملجا العامرية والتحديد، حيث من المفترض ان تكون القيادة العراقية منتخفة هناك.

الصاروخ الأول سيفجر فتحة التهوية ويوسع المنفذ الى الداخل، اما الثاني فسيدخل براحه الى الجوف، الى الأجساد النائمة، الغاطة في أحلامها أو كوابيسها أو أرقها. وهذا ما حصل، اذ تحول جوف الملجأ صباحاً الى قرن حقيقي، قرن صهر البشر مع الحديد والمواسير والأغصية والمليبات والأحلام والكوابيس، ومن بين ذلك الصهير تسامت روح ذلك الجندي لتسبح في سماء بغداد. عند بزوغ الشمس، وما ان افاق أب ذلك الجندي في قريته البعيدة، يفترض ان قرية العامرية، حتى رأي، مثل حلم، روح ابنه وقد طارت الي أصلها، فترتل بصوت عال، وهو يسجد على فراش من خوص النخيل؛ يا ايتهنا النفس المطمئنة. الرجعي الى ربك راضية مرضية.

كان رئيس الولايات المتحدة آنذاك، اي داخل الحدث الروائي، هو جورج بوش، وبعد عشر سنوات من تلك الرواية، اي في العام ٢٠٠٥ كان رئيس الولايات المتحدة جورج دبليو بوش، الابن، وكانت الأحداث قد جرت بشكل معكوس هذه المرة. استدارت صارمة لنبوءة روائية، آبت الا ان تسير عكس عقرب الساعة. اذ ان الابن هو الذي قرأ تلك الآية على روح أبيه، واقعا هذه المرة وليس روائيا.

كان الوقت عصرا حين فتحت نافذة الصالون، وتطلعت في السماء. سماء الخريف ذات الضوء الأصفُر المائل الى الحمرة. ثمة غيوم شفيفة في الهواء، رايت

من خلالها شكلا ادخل الربع الي نفسي. كان هناك خيطان غليظان يلتفان فوق الأشجار وذرا البيوت، يرسمان من خلال التفاهها شكل انشطة أو مشنقة، تدوم في فضاء بغداد، البعيد.

اكتشفت لاحقا ان تلك الانشطة رسمها دخان طائرة اميركية حومت في السماء قبل دقائق. هل هي صدفة ام تم ذلك بتقدير غريب، ام نبوءة غامضة؟ لتلك الانشطة جعلتني اشعر بالربع، ولم اتوسم فيها أي خير، خاصة وقد راقفها انقباض في قلبي، وهو ما يحدث عادة حين تجري أحداث غير سارة لي. نوع من التواختر ربما. التقاطات

قلبي الشفيف، كما كنت اصنفها لنفسي. في ذات المساء اتصل اخي من قرية الحامضية في محافظة الأنبار، وأنبأني بالخبر المشؤوم. قال فجأة: حدثت كارثة. كان صوته متقطعاً، وبارداً، وخالياً من أية مشاعر. خلال اقل من عشر دقائق عرفت مغزى تلك الرؤية التي شاهدتها في السماء. وعادت لي أحداث تلك الرواية المكتوبة في منتصف العقد التاسع، الرواية المسماة الواح. هناك مكان يفجر، وهناك صاروخان، وهناك رئيس اسمه جورج دبليو بوش. لقد عرفت لاحقا كل التفاصيل، وهي تفاصيل يمكن ان تتشكل منها رواية لامعة. لن يكون البطل جنديا هذه المرة، كمعادة الروايات العراقية التي كتبت في التسعينيات من القرن الماضي. ولن يكون بطل الرواية شخصاً واحداً فقط، انما عشرة عن الحادث، حتى شبهتها برواية ماركيز (قصة موت معلن). اذ ان جميع الشهود راوا الحادث، ولكن كل واحد منهم يرويهِ بطريقته الخاصة.

الحقيقة الشاخصة في كل تلك التفاصيل والتناقضات في قصص الشهود هي ان ثلاثة عشر شخصاً غادروا الحياة الأرضية، ليسبحوا في سماء خريفية غائمة. في الساعة التاسعة صباحاً شاهد اهالي قرية العامرية طائرة ابائتي تحترق في السماء، وهي تعبر فضاء نهر الفرات متجهة اليهم. لقد ضربها صاروخ محمول على الكتف من طائفة الشاوي. هي من فعل "المجاهدين" بالتأكيد. كان الدخان يتطاير منها وهي تقترب من نخيل القرية وشجرها، وكانت تتباطأ وتتطاير اشلاء، الدوابل ثم المرحة الخلفية ثم ابوابها الامامية، لتسقط قريبا من بيت خالي، وعلى حين غرة اشتعل الفضاء بالرصاص ابتهاجا بسقوط الطائرة، وتجمع حول الطائرة بعض الفضوليين، وعدد من الموائل لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، ومجاميع من الأطفال. زعزعت بعض النسوة وكانت هناك جثث ثلاثة جنود داخل قمرة الطائرة. انقض بعض الشباب على الجثث وأخرجوها من القمرة، ثم جلبوا سعف نخيل يابس وكوموه على الجثث، ثم اضرموا النار بعد ان جردوا الجثث من المسدسات الشخصية. في الدقيقة ذاتها حومت طائرة ابائتي ثانية فوق المكان، ويبدو ان الطائرة طلبت نجدة سريعة، فما هي الا دقائق حتى جارت طائرتنا مروحيتان وحطتا في الحقل القريب من بيت خالي. انتشر الجنود بين البيوت، وطوقوا المنطقة، وهم مدمجون بالأسلحة. لقد راوا الجثث تحترق فسارعوا الي نقلها الي المرحوية الجائمة وسط الحقل مثل حيوان اسطوري.

المولع بالخفي



–وماذا يعني ذلك؟

– ما لا تعرفه: محاولات تسميها في مريض

خيل الشرطة القديم

–سمعت ذلك.. من يرغب بقتل حيوان

مسكين؟

–أفهم.. وما لم تسمعه أيها الجاكي؛ هو الثأر

القديم بين سيوفك والمهريين.

أي ثأر.. أووهووو! سأعابجها.. ما شان

المهريين بغيون أعرج؟

–احذر! فقط،

على ظهرها أشعر بالطيران حتى وهي

عرجاء.

–ولد.. ابه!

–٢-

جئت بها في الصباح الباكر من كانون البارد وانما اقتودها من بستان النخيل الي منزل هاكوييان البيطري العجوز غير الرسمي. حاكيا تدلت كتافيهما جانبا ويستعمله الجنود في الشمال للحراسات الليلية في الربايا، إلا اني كنت أرزف بقوة مثل سقعة يابسة. ربما كنت مصابا بالحمى.

لكن الوع بالسبوق انساني نفسي.

هاكوييان يا هاكوييان!

في هذا الشتاء القارص توقف الماء عن الجريان في الانابيب. يحدث ذلك نادراً في الجنوب، ولم يسبق للسبوق ان تعرضت إلى هذا الجو الثلجي من قبل. ولم يسبق للمدينة التي تقع على طرف الصحراء ان تعرضت إلى عاصفة شتوية منذ عقود كثيرة. أي برد

مجنون هذا الذي يمكن ان تشفي به أتواء ساق؟ بدت السبوق وهي تنظر الي حركتها حزينة من خلال تلك النظرة العميقة للأسفل وهي تسير مخدولة كالنمأ خسرت معركة.

الباب الأزرق الواطئ نسياً والمغلق. العتيق، المرعب بالماسير الصدئة.

هاكوييان! اين انت أيها الثمل؟

هل تسمعنني؟ هوووو!

باب كبير يغوص في الارض قليلاً.

–لأنها السبوق، الحمراء المشاكسة يا عبدول!

زوجة خالي الأمرلة سارعت الي اخراج ابنائها الأربعة وغادرت المكان بسرعة البرق. بيت عمي الضخم كان يبعد حوالي كيلو متر عن مكان سقوط الطائرة. بيت ابي يجاوره تماماً. أمر ابي، وهو كبير العائلة، ويبلغ عمره ثمانين سنة، كل عوائل ابنائه بملازمة البيوت. عمي فعل الشيء ذاته، لكن فجأة سمعوا دوي رصاص ينطلق من مكان لا يبعد سوى امتار عن بيت عمي الضخم. كان هناك شاب من جماعة القاعدة يرمي باتجاه الطائرة المحترقة والقوة المساندة. يبدو ان الجنود زاوه فجاءوا يتراكمون باتجاه بيت عمي. هل دخل ذلك الشاب الي حديقة عمي؟ ام ان الجنود توهموا ذلك؟ لا احد يدري فالأحداث تسارعت بشكل كبير. سماء القرية أمتلت بالطائرات، مروحيات وطائرات حربية وجنود ينتشرون على الأرض يتراكمون في كل اتجاه. كانوا يرمون عشوائياً، قتلوا بقرتين وجرحوا مؤذن جامع القرية وكان راجعا من منبره، وهدمت واحدة من قنذائهم المحمولة على الكتف زاوية السياج الذي يحيط ببرتقال عمي ونخيله.

يقول الرواة ان ثلة من الجنود دخلت الي بيت عمي، وهو من طراز "الدبل فاليوم"، وهذا الطراز شائع في العراق، اذ يتألف من طابقتين ومن جناحين فسحين، وقد صرف عليه عمي سنتين من البناء حتى اكتمل وصار أجمل قصر في القرية. يقال ان الجنود فتشوا البيت غرفة غرفة، ولم يفتروا على أي شيء. لم يكن عمي من هواة جمع الأسلحة، بل ولم يكن يجيد الغتف او التطرف، وهذا حال عائلتنا كلها. قبل ان ضابطا ومرترجما صددا الي سطح القصر ثم تركا قرصا هناك في القصر كما هو معروف جهاز صغير بحجم ظفر الإبهام، بيت ذئببات ترشد الطائرة الي الهدف المراد تدميره. كان عمي يقطن في الطابق الأرضي هو وزوجته وابناؤه الأربعة غير المتزوجين، فيما يقطن ابنه المتزوج في الطابق العلوي. وابن عمي لديه بنتان وظفل رضيع لا يتجاوز عمره الخمسة أشهر. وهو رغم الضجة التي احدثها الجنود ظل نائما في سريره دون ان يدرك ما ينتظره من مصير. ترك الجنود بيت عمي وركضوا راجعين الي موقع سقوط الطائرة. ومرت دقائق من الضمت المطلق، حيث كانت جميع العوائل تكبت انفساهم، وتتصلصص من الشيبايك، منتظرة ما سيحدث. يقول اخوتي الناجون من الكارثة انهم سمعوا انفجاراً رهيباً. تكسر على اثره كل زجاج النوافذ في جميع ارباع مئة متر. ثم انطلقت موجة عارمة من الغبار والشظايا، ضربت واجهة بيتنا وبيت اخي الأصغر وخالي الثاني، فظن كل واحد منهم ان بيته هو الذي صفت. هذا ولم تكف المروحيات عن الدوران في سماء القرية. لم تمر سوى دقيقة

حتى عرف الجميع ان بيت عمي كان هو الهدف. نظروا من خلال الغبار، فدقوا خلف النخيل، لقد اختفى الطابق الثاني من بيت عمي. جاء عليه الصاروخ حتى آخر عضادة. بيت عمي يضم اكثر من عشرة اشخاص. من مات منهم؟ ما هي الخسائر؟ وما هو سبب قصف بيت يبعد كيلومترا عن مكان سقوط الطائرة؟ كان الفضول والخوف والربع قد دفع الجميع نحو البيت المهدم. ركض ابي واخوتي وأخواتي وأخوالي وخالاتي ونساء الجيران والأطفال أجمع نحو البيت، تحول البيت، او بقبته، الي خلية من البشر. ينشون، يفتشون، يتنون، يتفقدون الوجود المدماة المستكينبة تحت بقايا الكونكريت والحديد ونثار الخشب والأغصية.

عمي ما زال حيا، وكذلك زوجته وبعض من الأبناء. فحيدة عمي نور، وكان عمرها اثنتي عشرة سنة، قنذها الانفجار تحت سقفية البقر ولكنها بقيت سليمة. الطفل مات في سريره وعلى وجهه ايتسامة شاحبة. اما عمي فقد تخلعت اطرافها وسحبت من تحت الدرج الي ارض الحديقة. لقد رأت القرية ما حدث فتجمع أهلها حول البيت، وقوق سطوحه المتهاوية، وكان الربع يسيطر على العيون والأذنان، فوق، في السماء كانت المروحيات تحلق مراقبة ما يجري في البيت المكتوب. لم يتوقع احد ان ثمة صاروخا ثانيا سينتجر بينهم، ببساطة لأنهم لم يقرأوا، ابداً، رواية "الواج" التي كتبت عن ملجأ العامرية الذي احترق فيه ذلك الجندي في حرب الكويت. بعد ربع ساعة فقط فاجأهم الصاروخ الثاني. يبدو ان الطيار لم يرقه صمود الطابق الأرضي، فعاجل البيت من جهة الغرب بصاروخه الذي احال قصر عمي الي ركام. انه الصاروخ الذي احدث الكارثة التي اخبرني بها اخي.

عائلتنا تشبه عائلة الجنرال بوينديا في رواية ماركيز "مائة عام من العزلة". تكرر اسماءها كل جيل، لذلك نحن نمتلك اكثر من ثلاث حسنيات وأربع عميرات وعليين واكثر من خمس حسنات. عمي العاتق اسلم اسمه حسن، مات اسمه حسن وهو ابن اخي كمال. ابي الذي اسمه حسن سحب معه الي السماء حفيده اسم وهو ابن اخي محمد. اما عمي ورثه الصغير وهو ابن اخي جمال فذهب وحيدا مع الموتى دون ان يأخذ اخي الكبير علي معه. انه اخي الذي اخبرني بحدوث الصالون مع ابي، ومن بين الشقيقات الصغيرات رحلت نور ابنة ابي عمي وهي ما ان نجت من الصاروخ الأول حتى عادت ثانية ودخلت الصالون مع ابي، فلم تستطع النجاة هذه المرة. لا يتذكر اهلها اليوم منها سوى عينيه الزرقاوين، وهما لوان نادر في القرية. تركت نور المتوفاة صديقتها ابنة عمها نور الثانية التي ظلت مختبئة في المطبخ، وهي تمتلك عينين صفراوين لكنها

العدد (674)الاثنين (22) أيار 2006

NO (674)Mon. (22) May

موت معلن

في العمر نفسه. ابن اخي الصغير علي، ربطته مع كل الشباب اذ الصاروخ الأول خوفاه عليه، لكنه غافلها واطلق نفسه ليجدوا جسده دمدى تحت جسر كونكريتي

يزن اكثر من خمسة اطنان.

قال اخي كمال انه كان يقف على السطح بعد الصاروخ الأول، لكنه وجد نفسه في مستشفى المدينة، وقد حدث الشهود انهم راوا جسده مع آخرين يطير في الهواء لينتدق قرب سقفية الدجاج على بعد عشرة امتار من كتلة البيت التي بلا ملامح. احصت العائلة كل الاسماء المتشابهة من الحظ لشابين من الجيران ان يكونا أيضاً بين الضحايا، انه الرقم المشؤوم الثاني عشر. انا الثلاثين.

طوال السنتين الماضيتين دابت على زيارة اهلي كل شهر، وكان بيت عمي المنيف يندب لي ما ان اعطف من الطريق المحادي لتبر الفرات. تتراءى مصابيحه وشبابيحه وواجهاته المرمية واعدته "الدبل فاليوم"، لكنني في تلك الظهيرة التي ذهبت فيها الي القرية، لم ار سوى ذرا النخيل، ولم اشم سوى رائحة الموت وهي تلف القرية من شجرة الكينا العملاقة، وهي بدايتها الشرقية، وحتى شجرة الصفصاف التي زرعها جدي قبل مئة سنة، وهي حدود القرية الغربية. لم يكن هناك بيت اسمه بيت عمي، وهو امر لا اصدقه حتى هذه اللحظة. كنت كثيراً ما اسأل نفسي ترى لو قرأ اهل القرية روايتي "الواج" اليس من الممكن ان يكونا في العمر المؤلم ذلك؟ ترى لو انتظروا فترة اطول قبل ان يهبوا لتجدة المصابين، الا يمكن انهم لم يعترضوا لذلك الصاروخ الثاني؟

التكنولوجيا لا تكفي بضرية واحدة. الأولى تجريب والثانية تأكيد. لقد ضرب الأميركيان العراق للتجريب في حرب الكويت، لكنهم ضروه للتأكيد في الحرب الأخيرة. لكن ذلك كله افتراضات وخيالات روائية، فالحياة ليست رواية. ما يجري في الرواية قد لا يتشابه مطلقاً مع الواقع. لكن الرواية تحتمل النبوءة على أية حال. وتحتمل الحس والتخاطر وتوقع ما سوف يأتي. لكن من يتوقع ان يفعل اشتباك الأسماء فعله حتى لدى الاموات؟

ففي المقبرة التي دفنوا فيها ضحايا العائلة، كتبوا اسم اخي الأكبر علي حسين على القبر، بينما يفترض ان يكتبوا اسم علي جمال، فالتوفى ابن اخي جمال وليس اخي الكبير علي.

اصدارات عراقية

البركان تصانف مختارة

ترجمة /



الفنون في جامعة بغداد والمجموعة تضم قصائده المنشورة في الفترة ١٩٥٢ – ١٩٦٩وقد نشرت بالعربية والانكليزية معاً ب ٢٥٤ صفحة مع بيلوغرافيا خاصة بالشاعر الذي قام بكتابتها باللغة الانكليزية.

الثقافة الأجنبية

العدد الاول منذ عام ٢٠٠٦

تواصل مجلة (الثقافة الأجنبية) الناشئة

باصدار عددها

الفصلي الاول

لسنة السابعة

والعشرين

حاوية عددا

من الملفات

والموضوعات

المهمة ومنها

محور العدد

ازراباوند الذي

شارك في ترجمة

مواد ابراهيم عبد

الرزاق وهناء خليف وعادل العامل ونجاح عباد

مع نصوص من شعر باوند ترجمها ياسين طه

حافظ –رئيس التحرير ود. فائز يعقوب

الحمداي وسلمان التكريتي وضم العدد دراسات

اولى ومتابعات مع ترجمة كاملت كتاب (ستون

عاما في الشرق) للمهندس وليم ويلوكوكس قام

بترجمتها كاظم سعد الدين.

السنين العايدة

تأليف / جلييا كوبر

في شت حد في عالمها مما يوجب غرابة ما في

لحيثتها الهادئة بين الكلاب والناس كتبت

جلي كوبر روايتها هذه الصادرة حديثاً في لندن

دار منيرفا حيث تعتمد كوبر اشارة اللحظة

وديويمتها قياسا الي خبرات الحياة المتراكمة

لديها.

–١-

اقتربت من الاسطبل الصغير الكائن خلف البيت، انتابني شعور غامض ومباغت بان ثمة طلقة نبقية دوت بالقرب من المكان في اثاءة

نومي..

لم اكن اسمع بتلك الطلقة من قبل.

كنت احسب كل ما اسمعه محض حسد

عيشة وغيرة فقط.

الفرس السبوق" التي لاحقتها العيون وسط عاصفة من غبار متطاير كسهم احمر انطلق

هادش موظفي إدارة السباق الذين تركوا

مناضدهم الخشبية الهزازة لأول مرة وراحوا

يرقبون مسافة الموسم؛ فرس شرطه

الجمارك السابقة، وهي تتقدم الجياد

بمسافة كبيرة.

النواظير المؤجرة من اكلشك بيع السناثر

الرديئة بدت أكثر أهمية في ذلك اليوم من

بده مشاركتها في السباق. يمكننا ان نلاحظ

ظهور "السبوق" لأول مرة مع تاجير نواظير

طولية جديدة "متابعة القرصان" رخصته من

صنع محلي؛ انها لا تعدو ان تكون غير

النوبيين أسطوانيين من الصفيح الرقيق تثبت

فيها مكبرات زجاجية مستعملة في أغلب

الايحان، مع تحذيرات كاملة بعدم السقوط

على الأرض أثناء متابعه السباق، ولذلك

يصعب القيام بأية حركات افعال في عمليات

المراقبة. ويمكن النظر ببساطة الي السباق

من خلال أقامض احد العينين.

صفيح طويل وضاج، وصراخ هائج متواصل

ينبعث من أماكن مختلفة في المدرجات شبه

المتناكدة والمكتظة بالنظارة؛ سبوق سبوق

سبوق!

كنت اول من اطلق عليها هذا الاسم؛ سبوك!

الجمهور هو الذي خففه الي سبوق. منذ ان

تسلمتها من دائرة جمارك المنطقة الجنوبية

بوصل بيع حكومي، كتب تحته: حيوان

خيول السباق، والفضوليين، وعشاق

المراهات، ومهروبو الميسكي والمسيدات،

وشرطة الجمارك ومنعوا السبوق في

واجباتهم سابقاً.

لكن سؤالاً واحدٍ اثار به الجميع؛ ماذا يمكن

ان يفعل وصي مثل عبدول جاكي بفرس

عرجاء خدمت في الشرطة؟

أعد الشرطة نصحتني بتشديد الحراسة

عليها دون ان يذكر سيب ذلك.. ثم جاء

آخرون فآكدوا لي أهمية مراقبة الفرس في

الليل. لم اعر لذلك اي اهتمام وحينما كنت

الجندي، سألت: ما لا اعرفه في السبوق؟

–لأنها السبوق، الحمراء المشاكسة يا عبدول!